دور علماء الأندلس في حفظ الدرس اللغوي والنحوي
بين القرنين الثالث والسابع هجري (9–13م)

The Role of Andalusian Scholars in Preserving the Linguistic and Grammatical Lesson between the third and seventh Centuries AH (9-13 AD)

د. مزردي فاتح[1]*

[1] جامعة لونيسي علي. البليدة 2 (الجزائر)، ef.mezerdi@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 28-08-2023 تاريخ القبول: 27-10-2023 تاريخ النشر:31 -12-2023

مُلخّص البحث

شـهد الأندلس خلال الحقبة التاريخية بين القرنين الثالث والسـابع الهجري في جميع حواضـره لاسـيما قرطبة وإشبيلية وغرناطة التي تعد من أكبر المراكز الثقافية والعلمية الغرب الإسلامي خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة حضـــورا بارزا وتألقا ملحوظا من خلال علمائها وفقهائها ومشـــايخها الذين كان لهم دورا كبيرا في ازدهار العلوم اللسانية وإسهامات واضحة في إثراء المكتبات بالمؤلفات النحوية واللغوية، فيما تمثل هذا الدور وهذه الإسهامات؟

كلمات مفتاحية: الأندلس، النحو، اللغة، الدرس، الإسهام.

Abstract:

During the historical period between the third and seventh centuries AH, Andalusia witnessed in all its cities, especially Cordoba, Seville and Granada, which is one of the largest cultural and scientific centers of the Islamic West in particular and the Islamic world in general, a prominent presence and remarkable brilliance through its scholars, jurists and sheikhs who had a major role in the flourishing of linguistic sciences and contributions Clear in enriching libraries with grammatical and linguistic literature, while representing this role and contributions?

Keywords: Andalus; Grammar; The language; The lesson; Contribute.

* **المؤلف المرسل: د. مزردي فاتح**

1. مقدمة:

كانت حواضر الأندلس تضاهي أعظم الحواضر العلمية بالشرق الإسلامي وفاقت كل بلد من بلدان العالم الإسلامي على حدى من حيث ازدهار الحركة العلمية بها ويعتبر ولوج أهل الأندلس ميدان العلوم اللسانية بشكل إبداعي أهم ما ميز الفترة ما بين القرنين الثالث والسابع هجري التي تعد عصر ازدهار أدبي ولغوي وفكري ببروز عدد كير من الأدباء والشعراء وبظهور دلائل النضج الفكري والأدبي.

ونظرا لأهمية الموضوع فقد ارتأينا أن ندرس واقع الحياة الأدبية في بلاد الأندلس من خلال دور علماء الأندلس في حفظ الدرس اللغوي والنحوي ونعالج بعض جوانب الإبداع لديهم وتأثيرهم وقد طرحنا الإشكالية التالية: ما هي مظاهر إسهام علماء الأندلس في ازدهار علوم النحو واللغة خلال تلك الفترة ؟ ومن أهم العلماء الذين كانت لهم بصمة إبداعية في هذا المجال؟

واتبعنا في دراستنا لهذا الموضوع المنهج التاريخي الإسترادادي من حيث الاعتماد على المصادر والمراجع لتتبع المراحل التاريخية للحياة الأدبية في الأندلس من خلال ذكر أهم النحويين واللغوين وحصر مؤلفاتهم.

2. عوامل رقي الحياة العلمية في بلاد الأندلس:

دام حكم المسلمين للأندلس ما يقارب الثمانية قرون (92هـ-897هـ/ 711م-1492م) خلق خلالها الإسلام توافقا واندماجا بين الحضارات وثمارا عظيمة في بلاد الأندلس التي شهدت لأهم اندماج عرقي بين الشرق والغرب ومنبر للإشعاع الحضاري من حواضر الأندلس من قرطبة وإشبيلية وغرناطة وطليطلة وبلنسية وغيرها ونقطة انطلاق للحضارة الحديثة والجسر الأهم في عملية انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا ؛ وقد اجتمعت مجموعة من العوامل ساهمت ازدهار الحياة العلمية بالأندلس أهمها اهتمام الخلفاء والأمراء والملوك المتعاقبين بنشر العلم وتقريب العلماء ودور الرحلات

العلمية وأثرها النهضة العلمية بحواضر الأندلس بالإضافة إلى تطور صناعة الكتب وحركة الترجمة ودور الأسر العلمية في انتشار بيوتات العلم[1].

2.1. اهتمام حكام الأندلس بالعلم والعلماء ودورهم في رقي الحياة العلمية:

منذ أن وطئت أقدام "عبد الرحمن الداخل" الملقب بصقر قريش (ت. 172هـ/ 788م) أرض الأندلس في العاشر من ذي الحجة 138هـ/ 756م في خلافة " أبي جعفر المنصور" (ت. 158هـ/ 775م) بدأت تتشكل اللبنة الأولى للدور التاريخي والحضاري الأندلسي وكان تاج ذلك العهد وينبوع عطائه الحضاري الدور الذي لعبته مدينة قرطبة التي أصبحت موئل أهل العلم ومقصد الطلاب ومورد الثقافة[2]، وكان لنجاح صقر قريش في تأسيس الدولة الأموية بالأندلس الأثر البالغ في توطيد دعائم هذا العهد الجديد من تاريخ المسلمين عهد إمارة قرطبة المستقلة التي بلغت أوجها في الرقي والحضارة خاصة في حكم عبد الرحمن الثالث (ت. 350هـ/ 961م) الذي ازدهرت في عهده العلوم والأدب والفن[3]، وكان الأمير "الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الربضي" (ت. 206هـ/ 822م) يقرب الفقهاء والعلماء والصالحين واستأدب لديه العديد منهم خاصة الشعراء وأحدث الفقهاء إنشاد الشعر والزهد وكان يؤثر الفقيه "زياد بن عبد الرحمن" وقد أظهر اهتمامه بالعلوم والآداب وفروعها وكان أديبا شاعرا مجيدا وخطيبا فصيحا بليغا[4].

وفي عهد الأمير "أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم" المعروف بعبد الرحمن الثاني أو الأوسط (ت. 238هـ/ 852م) الذي كان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة الذي طال عهده وتميز بانتقال الحضارة العراقية إلى الأندلس حيث رأى أنه من الخير ترك سياسة الانعزال عن بغداد ويساير حركة التجديد الحديثة التي ازدهرت بها وواكبتها حركة الترجمة ونشاط صناعة الورق ونسخ الكتب[5]، وكان ذواقا للفنون وفي عهده دخلت الموسيقى العراقية التي حلت محل الموسيقى المدنية خاصة بعد تأسيسه معهدا للغناء والموسيقى ووصول "أبو الحسن علي بن نافع" الملقب بزرياب الذي كان موسيقيا ومغنيا بارعا

وله فيها ابتكارات ممتازة وأحدث في بلاط قرطبة[6]، وكان الأمير "محمد بن عبد الرحمن" (ت. 273هـ/ 886م) شغوفا بالبيان البلاغة والأدب وآثر أهل الشعر والأدب وله شعر في الغزل والفخر[7].

أما الأمير "أبو الحكم المنذر بن محمد" (ت. 275هـ/ 888م) فكان من أهل العقل والإكرام لأهل العلم والصلاح والاصطناع لكل من أخذ بحظ من العلم والذي كانت فترة حكمه قصيرة وكان يحب الشعر أيضا ومجالسه وكان يجزل العطاء للشعراء فينشدونه غازيا وراجعا ومن شعرائه "أحمد بن عبد ربه" و"العكي" وقد مضى عهده في محاربة التمرد والعصيان والصراع ضد زعيم المولدين "عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامي" (ت. 305هـ/ 917م)[8].

وتميز عهد الأمير "أبو محمد عبد الله بن محمد" (ت. 300هـ/ 912م) بظهور فن شعبي أندلسي جديد هو فن الموشحات الذي نتج عن نضوج الشخصية الأندلسية والاختلاط الكبير بين العرب والإسبان وظاهرة انتشار اللغتين العربية والاسبانية بين الأندلسيين ويعتبر هذا الفن ثورة في الشعر العربي وحركة من حركات التجديد فيه حيث أن الموشحات لا لا تلتزم بنظام القوافي الموحدة وقد استخدمه أهل الأندلس والمغرب وانتشر بين الصوفية في مدائحهم وأذكارهم وتطور عنها الزجل[9].

بدأ عصر الخلافة الأموية في الأندلس (316-422هـ/ 929-1031م) بتولية "عبد الرحمن بن محمد" حفيد الأمير "عبد الله بن محمد" الحكم بالأندلس في 300هـ/ 912م واستمر إلى آخر أيام حكم أبناء "المنصور بن أبي عامر" وسقوط الخلافة الأموية بعد عزل آخر خلفائها "هشام الثالث المعتمد بالله" في 422هـ/ 1031م وإجلاء من تبقى من المروانية عن قرطبة، وكان (ت. 350هـ/ 961م) أطول الملوك حكما معروفا بالحكمة والشجاعة جعل أمراء بني أمية ومقدميها يتجاوزون قواعد الوراثة في الحكم ليضعوا مصير الأندلس في يده[10].

وكان الناصر قد واصل سياسة أسلافه في استقطاب العلماء والعناية بهم وحرص على التقرب من أهل العلم والأدب وتحفيز أهل العلم على الإنتاج العلمي فكان بلاطه يعج بالحكماء والفقهاء والشعراء، وقد رفع مقام ومنار العلوم والفنون في الأندلس وأدخل فيها ففاخر كل جهة وزينة كل بلد

يحترم العلماء ويجلهم وقام باستدعاء العلماء واستقبلهم في قصره وفي كل بلاد الأندلس أمثال " أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي" (ت. 356هـ/ 967م) صاحب كتاب "الأمالي" و"النوادر" الذي نشأ في المشرق في قالي قلا من أعمال ديار بكر والموصل وبغداد وانتقل للأندلس واستقر بقرطبة عام 330هـ/ 641م بدعوة من الناصر من أجل استئداب ابنه "الحكم" حيث كان من حفاظ اللغة والشعر والنحو[11].

واعتلى العرش "أبو العاص الحكم بن عبد الرحمن" الملقب بالمستنصر بالله (ت. 366هـ/ 976م) عام 350هـ/ 961م الذي كان خبيرا بشؤون الحكم ورجلا عالما جامعا للعلوم محبا لها منصرفا إلى العلم والقراءة وتصيد الكتب النادرة[12]، وفي عهده استجلب من ديار الشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة وجمع في مدة ملكه ما كاد يضاهي ما جمعه خلفاء بني العباس في الأزمان الطويلة، فكان قد وضع له عملاء في بغداد والقاهرة ودمشق مكلفون بنسخ الكتب أو شرائها مهما بلغ ثمنها ومثال ذلك إرساله ألف دينار من الذهب العين لعالم العراق "أبو الفرج الأصفهاني" (ت. 356هـ/ 897م) وهو يشتغل في كتابه "الأغاني" وطلب منه أن يبعث به إليه قبل ظهوره بالمشرق ففعل ذلك وأرسله له قبل أن يقرأه أحد في المشرق[13]، وأيام المنصور وابنيه "عبد الملك المظفر" و"عبد الرحمن شنجول" كانت لهم جهود واضحة في مجال نشر العلم؛ حث "المنصور" على تأليف الكتب وتقديم العطايا الخيرة لمن يهتمون بحركة بالتأليف فقد دفع خمسة آلاف دينار ثمنا لكتاب "الفصوص" للإمام "أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي" (ت. 417هـ/ 1026م) عالم اللغة والأدب والأخبار الذي نال حظوة كبيرة لديه، واتخذ "المنصور" مجلسا علميا خاصا كل أسبوع ليلتقي فيه العلماء والأدباء مما أثار حماس الحركة الأدبية في عصره وجعل التنافس العلمي يزداد بشكل بارز خاصة في المجالات اللغوية والشعر ما جعل الأمر يصل به إلى إنشاء ديوان

خاص بالشعر وجعل "عبد الله بن محمد بن مسلمة" مسؤولا عليه وكان هذا الديوان يسجل كبار الشعراء وتصرف لهم رواتبهم وملكيتهم الشعرية[14].

وفي عهد ملوك الطوائف (422هـ- 479م/ 1031-1086م) كان تشجيعهم للعلوم والمعرفة والتنافس فيما بينهم واضحا في المجال الحضاري بتقريبهم العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء وحرصهم على أن يضم بلاطهم أكبر عدد من العلماء النابغين[15]، ففي إشبيلية ازدهر الشعر على أيام "المعتمد بن عباد" لأنه هو نفسه كان شاعرا واتخذ وزراءه وكتابه من الشعراء كما كان صاحب دانية "مجاهد العامري" أديب ملوك عصره لمشاركته في علوم اللسان ونفوذه في علم القرآن وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمة واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة ويذكر صاحب الروض المعطار قصته مع أمام اللغة والنحو "أبي غالب تمام بن غالب ابن التياني المرسي" (ت. 436هـ/ 1044م) الذي أرسل له ألف دينار على أن يزيد في ترجمة كتابه "الموعب"[16]، كما كان "المظفر يحي ابن منصور" (ت. 460هـ/ 1067م) صاحب بطليوس أحرص الناس على جمع علوم الأدب من النحو والشعر ونوادر الأخبار وعيون التاريخ وانتخب مما اجتمع له من ذلك كتابا كبيرا من خمسين مجلدا ترجمه باسمه اسمه "الكتاب المظفري" وأحاط به جمة من كبار العلماء والأدباء والشعراء؛ ومن الواضح أن حواضر الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف قد ازدهرت فيها الحياة العلمية وخاصة الحياة الأدبية وبرز خلال هذه المرحلة من تاريخ الأندلس أكبر العلماء أمثال المؤرخين "ابن حيان" و"ابن عبد الر" و"صاعد الطبقي" و"أبو الوليد الباجي" و"ابن حزم الظاهري" والشعراء والأدباء أمثال "ابن دراج القسطلي" و"ابن زيدون" و"ابن عمار" و"ابن شهيد"[17].

وخلال عصر المرابطين والموحدين بالأندلس نجد أن بالرغم من الأوضاع السياسية المزرية التي تخللها الصراع المستمر مع الممالك النصرانية الأرغونية والقشتالية إلا أن الوضع التعليمي قد حافظ على تقاليده [18]، واتبع كل الأمراء المرابطين سياسة تشجيع العلم والعلماء وحثهم على التأليف وتذكر المصادر أن كتاب "قلائد العقيان" قد ألف "ابن خاقان" برسم والي بلنسية الأمير "أبي إسحاق إبراهيم

بن تاتغيشت" (ت. 528هـ/ 1133م) وهو الأمر الذي أكده في مقدمة كتابه، وقد اتصف الأميرين "أبو بكر بن تيفلويت" (ت. 511هـ/ 1117م) والي غرناطة و"أبو بكر بن مزدلي اللمتوني" (ت. 539هـ/ 1144م) والي بلنسية وطرطوشة وسرقسطة برعاية الأدباء والشعراء والاهتمام بالعلم والعلماء فقدر استوزر "ابن تيفلويت" الحكيم الشهير والأديب "محمد ابن الصائغ ابن باجة" والذي كان له في علم الموسيقى والموشحات"[19].

وأهم ما ميز هذا العصر من التاريخ الأندلسي هو ظهور مصانع كبيرة للورق التي ساهمت في صناعة الورق ونسخ الكتب واتساع حركة التأليف ومصنع شاطبة كان يعمل به من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ثم انتقلت تقنية صناعته لطليطلة[20]، وخلال عهد الموحدين نجد أن "عبد المؤمن بن علي" (ت. 558هـ/ 1163م) ازدهرت في ظله العلوم والفنون في جميع أنحاء المملكة ورأى أن يضع للدولة الجديدة نظما موطدة الدعائم فألغى أغلب النظم المرابطية وأطلق حرية العلوم والمعارف كانت المعاهد الأندلسية في إشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسية مجمعا للعلم وعين على رأسها عمداء وكانت تقدم الكتب الدراسية في كل التخصصات لتكون لهم مقدمة وتمهيدا للدراسة [21]، وفي منتصف القرن السابع هجري دخل الأندلس مرحلة جديدة من تاريخه ورغم الوضع السياسي المزري إلا أن الحياة الثقافية كان قد شهد انتعاشا وازدهارا فكريا وأدبيا ملحوظا نتيجة اهتمام ملوك بني نصر بجذب العلماء فكان الملك "محمد بن يوسف" يعقد المجالس العامة مرتين كل أسبوع ويحضرها العلماء والفقهاء والشعراء كما شارك " محمد بن محمد بن يوسف الفقيه" (ت. 701هـ/ 1301م) في الحياة الأدبية وكان فيه العدل والصمت والوقار ويملك براعة في الخط وله حسن التوقيع وإيثار العلماء من الأطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء وقرض الشعر، وكان خليفته "محمد بن محمد بن محمد بن يوسف الثالث" (ت. 707هـ/ 1307م) أصيل المجد عظيم الإدراك يقرض الشعر

ويصغي إليه ويجيز الشعراء ويعرف مقادير العلماء ومن أكبر مناقبه بناء "المسجد الأعظم " بالحمراء من غرناطة الذي أصبح ملتقى العلماء والفقهاء[22].

2.2. أثر الرحلات في ازدهار الحياة العلمية الأندلسية

إن الحماس للحصول على علوم جديدة كان واحدا من أهم دوافع التأثير في القيام بهذه الرحلات فكان الاهتمام الأكبر للرحالة إلى جانب الحج أو اللجوء أو التجارة هو هضم التعليم المشرقي، فكانت رحلات الأساتذة من بلد لآخر بهدف الاستزادة من العلوم ولقاء المشايخ والعلماء وحضور المناظرات والمجالس العلمية وبغرض إيجاد مكان أكثر ملاءمة لأفكارهم وآرائهم والهروب من الاضطهاد أو البحث عن المناصب والجاه والشهرة، كما كان طلاب الأندلس الذين تنوعت وجهاتهم نحو المشرق أو المغرب الإسلامي أو رحلات داخلية بين أمصار وأقاليم وحواضر الأندلس المختلفة يسعون إلى لقاء أكبر المشايخ والعلماء وحضور مجالسهم العلمية للإقراء وأخذ خلاصة علمهم والحصول على الإجازات العلمية التي تعتبر من أشهر الطرق في نشر التعليم وتداوله بين طبقات أهل العلم وتمثل ضمان وشهادة تأهيل وكفاءة بعلم الطالب وقدرته على نقل ذلك العلم وتكون أما شفاهية فردية أو جماعية أو كتابية، ولم يكتف العلماء في رحلاتهم بالأخذ من علماء المشرق والمغرب فقط بل تعدى ذلك إلى الإنتاج والتلقين والمشاركة في الحلقات والمناظرات العلمية وتدريس الطلبة وممارسة مهنة التعليم في المساجد والمدارس في بعض الحواضر التي تصادفهم في طريق الرحلة فتكون لهم خبرة وتجربة يستفادون بها عند العودة للأندلس في الإقراء والتدريس، فهذا الزاد المعرفي الذي حمله العلماء والطلبة الأندلسيون إلى بلادهم جعلهم في مصاف كبار العلماء في الأندلس والغرب الإسلامي يتهافت عليهم الطلاب للسماع والأخذ منهم وجعلهم يستحقون عبارات الثناء والتقدير التي أفاضت بها كتب التراجم عليهم فكانوا بذلك أهم حلقة وصل بين الأندلس والعالم الإسلامي مشرقه ومغربه وأهم قناة لانتقال المؤثرات العلمية الخارجية[23].

وكان جلب الكتب عن طريق الرحلات الحجية والعلمية والتجارية دورا هاما في إثراء المكتبات الأندلسية ازدهار الحركة التعليمية في الأندلس فكانت المكتبات تمثل مراكز للتربية التعليم من خلال مساعدة المتعلم والمعلم في تدعيم المناهج التعليمية بالدروس والبرامج والمناهج والمواضيع ذات الصلة في شتى مجالات العلم وتخصصاته زيادة عن الأهداف الدينية باعتبارها نشأت مع نشأة المساجد ودارت في فلكها والأهداف الحضارية المقصود بها النقلة الحضارية للمجتمع الأندلسي من حالة البداوة إلى حالة التحضر والتثقيف وإرساء دعائم النهضة العلمية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، كما كان يقصدها كبار العلماء والفقهاء فاعتبروها مركزا من مراكز العلم والبحث يعقدون فيها الندوات والمناظرات العلمية أو إعداد البحوث والدراسات؛ وقد مكن هذا التراث المادي الذي دخل للأندلس من الكتب الأندلسيين من الاطلاع بشكل أوسع على مستوى التطور العلمي والفكري في حواضر المشرق والمغرب الإسلامي فأغلب العلماء الراحلين عادوا بزاد وافر من المصنفات النادرة والكبيرة والقيمة في مجالات العلم المختلفة[24].

وكان من نتائج الرحلة العلمية التي قام بها فقهاء الأندلس دخول المذهب المالكي إلى حواضر الأندلس و"كتاب الموطأ" وقراءة نافع بعدما كان أهل البلاد على المذهب الأوزاغي فترة من الزمن وينسب إدخال مذهب مالك إلى عدد من الفقهاء الأندلسيين الذين كانت لهم رحلات للحج من أهمهم "زياد شبوط" السالف الذكر له سماع عرف بسماع زياد والذي لقي مالك وروى عنه الموطأ وعاد للأندلس لينشره بين أهله وروى عنه الكثير من الفقهاء والعلماء والفقيه "أبو محمد يحي بن يحيى بن كثير" الذي رحل للمشرق وسمع عن "مالك بن أنس" وعن "نافع بن أبي نعيم" القارئ وقدم الأندلس بعلم كبير وكان يفتي برأي مالك وعلى المذهب المالكي[25]؛ نستنتج في الأخير أن للرحلات الأندلسية دور علمي كبير بعدما أثمرت بعلم واسع ومعارف غزيرة عاد بها العلماء والفقهاء وكتب ثمينة ساهمت في التطور العلمي والفكري الذي شهده الأندلس منذ القرن الثاني هجري وتمكن أهل الأندلس

أن يصنعوا كيانا علميا خاصا بهم وتميزوا في عدد من التخصصات العلمية كالطب والموسيقى والفلك سنتطرق له لاحقا.

2.3. تطور حركة الترجمة والتأليف وصناعة الوراقة

كان لحركة الترجمة دورا كبيرا حيث عمل على حفظ التراث الإنساني واليوناني والهندي والفارسي والمصري القديم من الضياع وما مميز هذا الحفظ هو التركيز على النافع منه للمسلمين وصقل هذا التراث العالمي وبيان ما فيه من خلل وتعديله عن طريق المراجعات والنقد والإضافة فلم يقم مسلمو الأندلس بمجرد النقل فقط، بالإضافة إلى قيام حضارة إسلامية راقية جمعت بين العلوم العقلية والنقلية بعد تخطي مرحلتي الأخذ والتأمل ما أكسبها طابع الديمومة والتميز عن الحضارات الأخرى وساعد النقل والترجمة على بروز الاتجاه العقلي بشكل واضح في أفكار المسلمين من خلال نبوغ وكانت القوة الدافعة للمذهب العقلي[26]، كما ساعدت في ظهور ونبوغ طائفة من علماء الأندلس من خلال دور العلم والحكمة ومراكز النقل والترجمة بعدما تهيأ لهم الدعم المعنوي والمادي من خلال الولاة والخلفاء والملوك ما ساهم في ظهور حضارة تميزت بالشمولية والعمق والإبداع في بعض المجالات كالأدب والشعر والطب والفلك وانتشار اللغة العربية وقدرتها على استيعاب المعارف والعلوم وأصبحت لغة العلم ما دفع الأوربيين إلى تعلمها وترجمتها إلى اللاتينية وازهار حركة التأليف ومهنة الوراقة والوراقين والنساخون الذين ساهموا في نسخ الكتب المنقولة والمترجمة لكثير من الموسرين ومحبي المعرفة من الحكام والفقهاء والطلبة والعامة حين يرغبون في اقتنائها من أجل مكتباتهم الخاصة[27].

إن ما اشتهرت به حواضر الأندلس يوضح على ما حظي به الكتاب الإسلامي من عناية وجمع جمع وانتشار للمكتبات واهتمام أهل الأندلس بها دليل على إسهام العلماء الأندلسيين في حركة التأليف ونسخ الكتب ورواج النشاط العلمي وإسهام في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية فقرطبة وحدها كانت تظم سبعين مكتبة عامة وعدد كبير من دكاكين الوراقين، ويذكر "المقري التلمساني" أن

المقصود بالتأليف سبعة فيقول <<شيء لم يُسبَق له فيُألَّف، أو شيء أُلِّفَ ناقصا فيكمل، أو خطأ فيصحح، أو مشكل فيشرح، أو مطول فيختصر، أو مفترق فيجمع، أو منثور فيرتب>>[28].

وذكرت المصادر النحوي "أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي" (ت. 538هـ/ 1143م) الذي كان متقدما في النحو حافظا للغة اعتمد عليه "أبو العباس ابن مضاء" في تفسير "كامل المبرد" لرسوخه في اللغة والعربية وله "المقامات اللزومية" الشهيرة وكتاب "المسلسل" من خمسين باب[29]، ومنهم الفقيه المفسر "أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي" (ت. 790هـ/ 1388م) له مؤلفات نفيسة منها "شرح الجليل على الخلاصة في النحو" وكتاب "الموافقات" و"المجالس" و"الإفادات والإنشادات" و"الاتفاق في علم الاشتقاق"، ويذكر "ابن الخطيب" أيضا الفقيه "محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن خميس الأنصاري" (ت. 750هـ/ 1349م) من أهل الجزيرة الخضراء أحد بلغاء عصره وله عدة مصنفات منها "النفحة الأرجية في الغزوة المرجية"[30].

كما اشتهرت عدة مدن أندلسية بصناعة الورق خاصة مدينة شاطبة التي عرفت بإنتاج أجود أنواع الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض والذي كان يحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس ومختلف أقطار العالم الإسلامي، وكان فيها مصانع كبيرة للورق في القرن 4هـ/ 10م ثم انتقل إلى طليطلة منذ القرن 5هـ/ 11م ولا تزال هناك وثائق تدل على وجود وثائق مخطوطة كتبت على ورق مصنوع من القطن ترجع لعام 400هـ/ 1009م موجودة في مكتبة الإسكوريال وهي أقدم من المخطوطات في أوربا وتدل على أن العرب أول من أحل الرق مكان الورق[31]، وكان من نتائج صناعة الورق بالأندلس ظهور طائفة من المشتغلين بشؤون الكتاب من نسخ وتجليد وتجارة وهؤلاء هم الوراقون الذين كانوا الأمهر في هذا المجال وكانت دكاكين الوراقين في عصر الإمارة قليلة إلا أن عملية نسخ الكتب وتجليدها كانت مزدهرة وخاصة فيما يتعلق بتجهيز النسخ الجذابة للقرآن الكريم، ثم وفد على بلاد الأندلس طائفة من الورّاقين المبدعين منهم "ظفر البغدادي" الذي اتخذ مدينة قرطبة مقاماً وسكناً

وكان من رؤساء الورّاقين المشهورين بالضبط وحُسن الخطّ و"أحمد بن محمد بن الحسن الخلاّل الأديب" الذي أشتهر بخطه الرائق والضبط المتقن الفائق و"عباس بن عمر الصقلي" و"يوسف البلوطي" واشتهر من أهل الأندلس خلال عصر الخلافة عدد من الوراقين أمثال "أبو عمر يوسف بن محمد الهمذاني" (ت. 383هـ/ 993م) من أهل شذونة كتب "تفسير القرآن" و"تاريخ الملوك" وبخط بده "كتاب الشافعي الكبير" في مائة وعشرون جزء، ومن أهم النساخين في الأندلس "أبو إسحاق إبراهيم بن سلم الإفريقي الوراق" (ق. 4هـ/ 10م) الشيخ الصالح الذي قدم قرطبة وكان يلازم المسجد الجامع ويؤمه ويورِّق الحكم المستنصر بالله، ومنهم أيضا "أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد" (ت. 324هـ/ 936م) كتب علما كثيرا من أهل دار علم وفضل ووصف فقد كان مجيدا في لفظه مبينا في كلامه بليغ اللسان في خطبته وطويل القلم في كتبته، ومنهم أيضا المقرئ "أبو بكر أحمد بن عمر بن أبي الشعري الوراق" (ت. 350هـ/ 959م) من أهل قرطبة كان يكتب المصاحف وينقطها وكان الناس يتنافسون في ابتياعها لصحتها وحسن ضبطها وخطها[32].

2.4. الدور العلمي لخزائن الكتب والمكتبات لدى البيوتات الأندلسية:

انتشرت ظاهرة إنشاء المكتبات بالأندلس وولع الأندلسيون بإقامة هذه المؤسسات التعليمية وقد مثلت بيوت العلماء منبعا للعلوم وأخذ المعرفة من مصدرها أي من منازل العلماء والفقهاء وبيوت النحويين والأدباء التي كانت آهلة بنفائس الكتب والمؤلفات التي شملت البرامج أو مواد تعليمية يستعين بها طلبة العلم في استزادتهم من ضروب العلم أو كتب خاصة بالعالم أو الشيخ صاحب البيت يكون قد ألفها أو استقدمها من مدن الأندلس أو من خارجه وكان الاهتمام بإنشاء هذه المكتبات وتنميتها أكثر الظواهر انتشارا بين المثقفين خصوصا الذي تسمح مواردهم ويسهل جاههم بالحصول على النفائس من المؤلفات والإكثار من جمع الكتب؛ وعلى سبيل المثال اشتهرت مكتبة "بيت ابن جزي" السالف الذكر حيث يقول "ابن الخطيب" أن مكتبة "أبي القاسم محمد" جمَّاعة للكتب ملوكي الخزانة وكما ذكر مكتبة "بيت ابن الزبير الغرناطي" التي كانت من أكبر المكتبات وأشهرها على الإطلاق

حيث استُولي على ذخائر الكتب "أبي جعفر ابن الزبير" وكراساته العلمية التي قيدها عن شيوخه أثناء محنته في مالقة إلا أنه استردها ، كما اشتهرت مكتبة "بيت ابن لب المالقي" التي أوصى صاحبها "أبو عبد الله محمد بن محمد بن لب الكناني" بحبس داره وكتبه على الجامع الكبير بمالقة، ومنها أيضا "بيت الشاري" و"بيت ابن عمران الحضرمي" و"بيت محمد بيبش العبدري الغرناطي"؛ فلم يدخل علماء البيوتات الأندلسية أي مجهود في اقتناء الكتب واعتباره أكبر ذخيرة لهم وحافظ علماؤه المتتالون على وجودها واستمرارها فاستفاد منها الأبناء والأحفاد الأعقاب، فساهمت كتب البيوتات العلمية في الأندلس إسهاما علميا في الإنتاج الفكري وتنوير طلبة العلم بعد أن أصبحت حبسا على دور العلم ومجالس الفكر ووقفا على المساجد في الحواضر الكبرى بالأندلس[33].

3. علماء النحو ودورهم في حفظ الدرس النحوي بالأندلس:

بلغت الدراسات النحوية في الأندلس مرحلة متقدمة من النضج منذ أواسط القرن الرابع هجري أو قبل ذلك بيسير إذ تجاوز النحاة في مباحثهم ما درجوا على العناية به من إيضاح القواعد النحوية في أيسر مآخذها وتقريب شواهدها وتفسير معانيها إلى اقتحام قضايا الجدل النحوي؛ قما إن عاد "محمد بن يحي الرَّباحي" من المشرق يحمل تاب "سيبويه" رواية عن نحوي مصر النابه "أبي جعفر النحاس" حتى بدأ الدرس النحوي يتخذ مسارا جديدا يقوم على التحليل والتعليل والاستنباط، من أهم النحويين خلال عصر الإمارة والخلافة الأموية في الأندلس تذكر المصادر أن أول نحاة الأندلس هو "جوديّ بن عثمان النحوي العبسي" (ت. 198هـ/ 814م) أصله من طليطلة كانت له رحلة للمشرق والتقى "الكسائي" و"الفراء" و"أبا جعفر الرؤاسي" وكان أول من أدخل كتاب "الكسائي" للأندلس، وله تأليف في النحو سماه "منبه الحجارة" وكانت له حلقة درس وظهر تقدمه في علم النحو كما أدب أولاد الأمراء والخلفاء، وممن أخذ عنه "أبو حرش عبد الله بن نافع"[34]، ومنهم "بو عبد الله محمد بن موسى بن هاشم بن زيد النحوي الأندلسي" المعروف بالأقشتين (ت. 307هـ/ 919م)

مولى الأمير "المنذر بن بن محمد بن عبد الرحمن" (ت. 275هـ/ 888م) وكان متصرفا في علم الأدب والخبر والنحو، ورحل للمشرق ولقي "أبا جعفر الدينوري" وانتسخ كتاب "سيبويه" وأخذه عن رواية وروى كتب "ابن قتيبة" عن إبراهيم بن جميل الأندلسي" وله كتب مؤلفة في الأدب والنحو منها "شواهد الحِكَم" وكتاب "طبقات الكتَّاب"، وبرز أيضا الشاعر "محمد بن أحمد بن سيد بن عمر بن حبيب بن عمير الإشبيلي" (ت. 300هـ/ 912م) كان نحويا ولغويا مطبوعا أخذ عن "محمد بن عبد الله بن الغازي"[35]، واشتهر النحوي "أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي الرَّباحي" (ت. 358هـ/ 969م) أصله من جيان وسكن قلعة بني رباح، سمع بقرطبة عن "قاسم بن أصبغ" وبمكة عن "ابن الأعرابي" وبمصر عن "أبي جعفر أحمد النحاس" وعلان بن الحسن" و"ابن ولاد" وكان موسوما بالحذق بعلم العربية ولطيف المسلك في معانيها ودقيق النظر فيها والاستنباط والقياس والإعراب كما أدب عند الملوك واستأدبه الخليفة "الناصر" لابنه "المغيرة" ثم صار في خدمة "المستنصر" في مقابلة الكتب، ومنهم أيضا "أبو عبد محمد بن عاصم العاصمي" (ت. 382هـ/ 992م) نحوي مشهور وإمام في العربية تعلم على يد "الرباحي" موصوف بالتمكن في النحو والحذق بدقائقه وذكره الحميدي لما قال عن "ابن حزم" أنه لا يقصر عن أكابر أصحاب "محمد بن يزيد المبرد" والعاصمي"[36].

وخلال عهد ملوك الطوائف أدت مدارسة النصوص النحوية إلى إنعام الفكر في العديد من المسائل واستكمال النقص الفائت وامتزاج الدرس النحوي بالدرس الأدبي وهذا ما الإجمال أهم ملامح الذاتية الأندلسية فيه، وبرز في هذا المجال النحوي "أبو مروان أحمد بن عبد الله بن بدر القرطبي" (ت. 423هـ/ 1032م) كان نحويا ولغويا وشاعرا عروضيا فصيحا روى عن "أبي عمر بن أبي الحباب" و"أبي بكر بن هذيل" وحدث عنه "أبو مروان الطبني"، ومنهم الفقيه "أبو محمد غانم بن الوليد بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي المالقي" (ت. 470هـ/ 1077م) عالم متفرس وفقيه أديب ومدرس وأستاذ وأحد أفراد أهل الأدب والمحققين به وله في الحديث والطب والكلام روى عن "أبي عمر يوسف بن خيرون" و"أبي عبد الله بن السراج" وقرأ عنه "أبو الحسن علي العابدي"، ومنهم النحوي "أبو

الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري" المعروف بالأعلم (ت. 476هـ/ 1083م) من أهل العلم بالعربية حافظا لها وحسن القياس لطيف النظر وكان كاتبا بليغا عالما بحدود الكتابة وولي خطة الخزانة والمخزون، وله عدة تصانيف منها كتاب "المخترع" في النحو" و"تحصيل عين الذهب" و"شرح جمل الزجاجي" و"شروح شعر المتنبي" و"شرح أبيات الجمل" و"النكت في تفسير كتاب سيبويه"[37]، وفي عصر المرابطين والموحدين والدولة النصرية أحرزت الحركة العلمية خلال هذه المرحلة تقدما كبيرا خاصة في علوم النحو واللغة ووصلت إلى درجة مقارعة نظيرتها في المشرق الإسلامي لما حوته بلاد الأندلس من علماء في النحو وما أنتجوه وألفوه من كتب ومعارف كان لها الأثر في ازدهار الحياة الأدبية في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا، واشتهر النحوي "أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الإشبيلي" يعرف بالخِدَبّ (ت. 580هـ/ 1184م) أخذ علم العربية عن "أبي القاسم بن الرماك" و"أبي الحسن بن مسلم" وكان قائما على كتاب "سيبويه" وأصول "ابن السراج" ومعاني القرآن لفقيه "الفراء" وكتاب الإيضاح للعالم "الفارسي" وكانت له رحلة طويلة لبلاد المغرب وللمشرق وناظر كبار النحاة ووصل للبصرة وأقرأ بها وكان يناقش و يبين مسائل النحو أحسن بيان وقد أخذ عنه جماعة منهم "أبو بكر بن هود" و"أبو عبد الله بن إسماعيل الأنصاري" و"أبو ذر الخشني" و"أبو الحسن بن خروف"، له تعاليق نبيلة على "معاني القرآن" لابن زياد الفراء، كما برز القاضي "أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد ابن مضاء اللخمي القرطبي" (ت. 592هـ/ 1196م) الذي كان متقدما في علوم العربية وله آراء فيها وحافظا للغات وبارعا في التصريف كاتبا بليغا وشاعرا وبصيرا بالنحو وممتازا فيه وقد تلا عن "شريح" وعن "أبي بكر بن العربي" و"أبي جعفر البطروحي" و"أبي محمد بن المناصف" وروى عن "عبد الحق بن عطية" و"القاضي عياض" وأخذ عن "أبي القاسم عبد الرحمن بن الرماك" كتاب سيبويه وتأدب في العربية عن "أبي بكر بن سليمان بن سمحون" وعن "أبي القاسم

بن بشكوال" وصنف في النحو كتابه "المشرِق" وكتاب "الرد على النحويين" وكتاب "تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان"[38].

وبرز الشيخ الفقيه "أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الإشبيلي" (ت. 669هـ/ 1270م) نحوي حمل لواء العربية في زمانه أخذ عن "أبي علي الشلوبين" وعن "الدباج" وأقام بكل بلد بالأندلس وجلس للتدريس وأقبل عليه الطلبة وأملى بها تقاييده على "الجمل للزجاجي" و"إيضاح الفارسي" و"كراسة الجزولي" و"كتاب سيبويه" وكنت له تصانيف مهمة في النحو منها كتاب "الممتع في التصريف" و"شرح الجزولية" و"مختصر المحتسب" و"ثلاثة شروح على الجمل" و"شرح الأشعار الستة" و"شرح الحماسة" و"البديع" وكتاب "المقَرّب"، ومنهم أيضا النحوي "أبو جعفر أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالقي" (ت. 702هـ/ 1302م) مقرئ عارف بالعربية قرأ النحو على "أبي عبد الله محمد بن مفرج المالقي" وتلا بمضمن التيسير على "أبي الحجاج بن أبي ريحانة" وقرأ عن "أبو الحسن ابن الأخضر" ومن تلامذته "أبي حيان" وله كتاب "التحلية في البسملة والتصلية" و"رصف المباني في ذكر حروف المعاني" و"شرح الجزولية" و"شرح مقرب ابن هشام الفهري" و"تقييد على الجمل" و"شرح الكامل" و"إملاء على مقرب ابن عصفور" و"شرح الجمل الكبيرة للزجاجي"[39]؛ ومن خلال النماذج التي ذكرنا نرى الدور الكبير الذي لعبه العلماء النحويين الأندلسيين في حفظ الدرس النحوي ببلاد الأندلس خلال العصر الوسيط وأثرهم البارز في ازدهار العلوم اللسانية خلال هذه المرحلة من تاريخ الأندلس.

4. علماء اللغة ودورهم في حفظ الدرس اللغوي بالأندلس:

كانت الحاجة إلى تعليم اللغة العربية سببا في نشأة طبقة من المعلمين أخذوا على عاتقهم تعليم العربية في جميع أنحاء الأندلس عامة وقرطبة خاصة وسمي من يمتهن تعليم اللغة بالمؤدب الذي شمل نشاطه التعليم في البيوت والمساجد والكتاتيب منهم "سوار بن طارق" و"ابن أرقم" و"أبو الوليد الغافقي" و"المكلفخي" و"أصبغ المؤدب" وعثمان بن المثنى"، ومما ساعد على انتشار اللغة العربية

بالأندلس هو دخول عدد من التابعين إليها أمثال "خش بن عبد الله الصنعاني" و"أبو عبد الله علي بن رياح اللخمي" ناهيك عن القادة المسلمين الأوائل الذين بذلوا جهدا كبيرا بعدما جعلوا اللغة العربية اللغة الرسمية للأندلسيين في معاملاتهم وكافة شؤونهم باعتبارها لغة القرآن الكريم فأصبحت لغة المكاتبات كما أن المناهج الدراسية التي وضعها ولاة الأمر في المؤسسات التعليمية كانت تقوم على القرآن الكريم والسنة النبوية وعلى الثقافة الإسلامية ووسيلتهم في ذلك العربية، وقد تآزرت عدة عوامل في ترسيخ اللغة بالأندلس منها هجرة الأندلسيين للمشرق وسعيهم لنهل الأصول من علماء اللغة ومن أصولها وهجرة بعض علماء اللغة من المشرق إلى الأندلس ونقل الكتب اللغوية معهم؛ فكانت عاملا قويا في وحافزا على التأليف اللغوي والمعجمي على يد طبقة من اللغويين والنحويين [40].

وخلال عصر الإمارة والخلافة الأموية في الأندلس اشتهر عدد من اللغويين على رأسهم "أبو بكر محمد بن أصبغ الإشبيلي" (ت. 355هـ/ 966م) كان من أهل العلم باللغة والشعر جيد الضبط بالعربية حسن التقييد مطبوعا سهل الكلام سبط اللفظ، ومنهم "أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذبح الزبيدي" (ت. 379هـ/ 989م) من أئمة اللغة وشيخ العربية والنحو بالأندلس أخذ علوم الدين عن "قاسم بن أصبغ" و"أحمد بن سعيد الصدفي" و"سعيد بن فحلون" وقرأ علوم اللغة والنحو عن "محمد بن يحير الرباحي" و"أبو علي إسماعيل القالي"، ألف كتبا كثيرة في اللغة والنحو منها كتاب "الواضح" الذي كان يتميز بسهولة اللغة والترتيب الواضح السهل المحدد لأبواب الكتاب واستخدم فيه أسلوب الحوار والخلو من الشواهد النحوية والشعرية والإيجاز وكتاب "مختصر كتاب العين" وكتاب "الأبنية" و"المستدرك من الزيادة في كتاب البارع" و"لحن العوام" وهو تدوين لما سمع ولم يجمع من المصادر وكتاب "مختصر لحن العامة" وغيرها وروى عنه ابنه "أبو الوليد محمد" و"أبو القاسم إبراهيم ابن الإفليلي الزهري" [41].

ويذكر "ابن الفرضي" الفقيه "أبو علي حسان بن عبد الله بن حسان الإستجي الأندلسي" (ت. 334هـ/ 845م) كان متصرفا في علم اللغة والإعراب والعروض ومعاني الشعر روى عن "عبد الله بن الوليد" و"عبيد الله بن يحي" و"الأغناقي" و"سعد بن معاذ" و"طاهر بن عبد العزيز" وسمع وحدَّث عنه "إسماعيل" وغيره، ومنهم أيضا اللغوي "أحمد بن أبان بن سيد القرطبي" (ت. 382هـ/ 991م) إمام في اللغة العربية كان في أيام "الحكم المستنصر" روى عن "أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي" وروى عنه "أبو عمر يوسف بن خيرون"، له في اللغة كتاب "العالم" وهو معجم في مائة مجلد مرتب على الأجناس وله كتاب "العالم والمتعلم" على المسألة والجواب وكتاب شرح في تاب الأخفش، كما اشتهر "أبو مروان عبد الملك بن طريف القرطبي" (ت. 400هـ/ 1009م) كان إماما في علم اللغة حسن التصرف فيها أصلا في تثقيفها أخذ عن "أبي بكر بن القوطية" وله كتاب حسن في الأفعال هذب فيه كتاب "أفعال أبي بكر ابن القوطية"[42].

وفي عهد ملوك الطوائف أضفت مدن الأندلس خلال هذه المرحلة طابعا مميزا لعلوم اللغة فكانت مقصدا للعلماء والأدباء واللغويين أين كان الاهتمام كبيرا بتدريس علومها وإحياء شعائرها من مناظرات ومراسلات لغوية وأدبية واحتل علماء اللغة مكانة كبيرة في بلاط الأمراء والملوك والمجتمع الأندلسي فكان يعول عليهم في تأديب الناشئة من الأمراء، وظهر في عصر ملوك الطوائف عدد كبير من اللغويين منهم الأديب اللغوي "أبو غالب تمام بن غالب بن عمر المرسي" المعروف بابن التياني (ت. 436هـ/ 1044م) كان إماما في اللغة ثقة في إيرادها ومذكورا بالديانة والعفة والورع روى عن أبيه "غالب بن عمر" و"أبي بكر الزبيدي" وعبد الوارث بن سفيان" وله كتاب مشهور جمعه في اللغة سماه "تلقيح العين" جعله مقدما في علم اللسان أجمعه مسلمة له اللغة وقد حمل أسماء أخرى مثل "فتح العين" كما ذكره "السيوطي" في كتابه "المزهر" والذي أتى فيه بما في "العين" من صحيح اللغة الذي لا اختلاف فيه على وجهه دون إحلال بشيء من شواهد القرآن والحديث وصحيح الأشعار كما ذكره "اللبلي" في كتابه "بغية الآمال" باسم "الموعب في اللغة"، ومنهم أيضا "أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا

بن مفرج القرطبي" المعروف بابن الإفليلي (ت. 441هـ/ 1049م) كان لغويا حافظا للأشعار قائما عليها وكان أشد الناس انتقاء للكلام ومعرفة برائعه وروى عن أبيه وعن "أبي عيسى الليثي" و"أبي محمد القلعي" و"أبي عمر بن أبي الحباب" و"أبي بكر الزبيدي" وروى عنه "أبو مروان الطبني" و"ابن السراج" و"أبو الخطاب العلاء بن أبي المغيرة" وكان متصدرا بالأندلس يقرئ علم النحو والآداب وله كتاب "شرح معاني شعر المتنبي"، واشتهر ايضا خلال هذه اللغوي "أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأعمى" (ت. 458هـ/ 1066م) كان ضريرا إماما في اللغة والعربية حافظا لهما ومنقطعا للأمير "أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري" ويذكره "ابن سعيد الأندلسي" ويقول لا يعلم بالأندلس أشد اعتناءً من هذا الرجل باللغة ولا أعظم تواليف تفخر مُرسية به أعظم فخر وهو عندي فوق أن يوصف بحافظ أو عالم، ومن شيوخه المقرئ "أبي عمر أحمد الطلمنكي" و"أبي العلاء سعيد البغدادي" واشتغل على "أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي" ومن أهم مصنفاته كتاب " المحكم والمحيط الأعظم" الذي أقاد في كتابته من كتب "أبو علي القالي" و"أبو منصور الأزهري" و"الصاحب بن عباد" و"أبو بكر محمد الزبيدي" ورتبه وفق مخارج الحروف وكتاب "المخصص" وكتاب "الأنيق في شرح الحماسة" و"العويص في شرح إصلاح المنطق" وكتاب "شواذ اللغة" و"العالم في اللغة[43].

وفي عصر المرابطين والموحدين والدولة النصرية تذكر المصادر عدد كبير من مشاهير الأندلس في مجال اللغة أهمهم "أبي الطاهر محمد طاهر بن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي (ت. 538هـ/ 1143م) كان مقدما في العربية واللغة وشاعرا محسنا وله مقامات سمع من "أبي علي الصدفي" ومن "أبي محمد بن ثابت" و"أبي عمران بن أبي تليد" و"أبي محمد بن السيد"، ويعتبر معجمه "المسلسل في غريب لغة العرب" من خمسين بابا، ومنهم "أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن بيش العبدري" (ت. 541هـ/ 1146م) إمام مشاور له إجازة من "أبي عبد الله الخولاني" وروى عنه "أبو بكر بلبيس"، والذي برع في العربية محققا فيها وشغفا بها، ومنهم أيضا أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر

البلوي الطرطوشي السالمي" (ت. 559هـ/ 1164م) كان عالما أديبا ولغويا فذا وكاتبا شاعرا عارفا بالتاريخ والأخبار صنف في اللغة كتابا مفيدا سماه "السِّلك المنظوم والمِسك المختوم" ودواوين من الشعر وله كتاب في الطب سماه "الشفاء" وكتاب في التشبيهات" و"درر القلائد وغرر الفوائد" وروى عنه "عبد المنعم بن عبد الرحمن" و"أبو القاسم البراق"[44].

5. خاتمة

ومن خلال دراستنا لموضوع دور علماء الأندلس في حفظ الدرس اللغوي والنحوي بين القرنين الثالث والسابع هجري (9-13م) استخلصنا العديد من النتائج التي كانت في عمومها إجابة عن الإشكالية المطروحة في البداية ومن أهمها :

-كان لأدباء الأندلس مكانة كبيرة في حفظ الدرس اللغوي والنحوي والاعتناء الكبير بعلوم اللغة والنحو اعتمادا على إنجازات المدارس المشرقية في الحجاز والعراق بإدخال الكتب والذي كان لها دورا هاما في إثراء المكتبات الأندلسية ازدهار الحركة التعليمية في الأندلس

- عناية حكام الأندلس بمجال العلوم اللسانية ساهم في ازهارها وفي استقطاب حواضره للأدباء والشعراء والنحويين واللغويين من كل البلاد الإسلامية خاصة من المشرق وبلاد المغرب.

- عرف عصر الإمارة الأموية في الأندلس عناية كبيرة وازدهار ملحوظ حيث عكف العلماء والطلبة على إثراء الدراسات النحوية واللغوية من خلال حلقات الدروس وحركة التأليف.

- خلال القرنين السادس والسابع بلغت الدراسات النحوية واللغوية ذروتها حيث لمعت فيه شخصيات نحوية ذات شهرة وصيت كبيرين تصدرت للتدريس والتأليف في كل الحواضر خاصة بجاية وتلمسان.

- أخذت اللغة العربية مكانتها الأصلية من خلال حركة التعريب وانتشار اللغة العربية من خلال قنوات التعليم وحفظ القرآن وتفسيره والتفقه فيه باستعمال اللغة العربية.

- كان للفقهاء مساهمة كبيرة في إثراء علوم اللغة والنحو من خلال إقامة الصلاة وقراءة وتلاوة القرآن الكريم باللغة العربية والتمسك بتطبيق تعاليم الإسلام.

- تعدد المؤلفات التي تزينت بها مكتبات المساجد والقصور وبيوت العلماء والتي ساهمت في تنمية الذوق الأدبي لدى مجتمع المغرب الأوسط.

– علم اللسانيات رهين بتوفر عوامل مؤثرة في إنتاجه والإبداع فيه وبعثه ونهضته واستوائه على عرش الرقي والكمال أهمها اعتماد الأندلسيين على قوة أذهانهم وصفاء أفكارهم وتشجيع ملوكهم على الحفظ وإكرام الأدباء وإثباتهم على ما تجود به قرائحهم وإنزالهم منازل الإجلال والتقدير وتقريبهم من مجالس الأمراء والخلفاء والملوك.

5- الهوامش:

[1]) محمد بشير حسن راضي العامري، فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014، ص. 105 ؛ ياسر محمد ياسين البدري الحسني، أقمار في سماء الأندلس "ابن حزم الظاهري الأندلسي سيرته، مذهبه، شيوخه وتلامذته"، دار الكتب العلمية، 2011، ص. 34.

[2]) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر. سهيل زكار، ج. 4، ط. 1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ص. 155 ؛ ياسر محمد ياسين البدري الحسني، أقمار في سماء الأندلس "ابن حزم الظاهري الأندلسي سيرته، مذهبه، شيوخه وتلامذته"، دار الكتب العلمية، 2011، ص. 10.

[3]) جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ط. 2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1966، ص. ص. 17-18 ؛ عبد القادر قلاتي، الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، الجزائر، 2006، ص. 31.

[4]) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح. إبراهيم الأبياري، ط. 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989، ص. 113 ؛ المقري، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، مج. 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988، ص. ص. 341-342 ؛ ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/ 1312م)، البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب، تح. ومر. إحسان عباس، ج. 4، ط. 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص. 79 ؛ أحمد حاجم الربيعي، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، دار مؤسسة رسلان، دمشق، سوريا، 2010، ص. 17 ؛ أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت ، ص. ص. 126-127.

[5]) ابن الفرضي: عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي (ت. 403هـ/ 1013م)، تاريخ علماء الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، ج. 1، ط. 2، دار الكتاب البناني، بيروت، لبنان، 1989، ص. ص. 28-29 ؛ الضبي: أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت. 599هـ/ 1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، ج. 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989، ص. 35 ؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار الاندلس والمغرب، تح. ج. س كولان وليفي بروفانسال، ج. 2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص. 80 ؛ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص. ص. 129-130 ؛ عبد القادر قلاتي، الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، الجزائر، 2006، ص. 58.

[6]) ابن سعيد الأندلسي، المغرِب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، ج. 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ص. 18 ؛ .

[7]) ابن الأبار، الحلة السيراء، تح. حسين مؤنس، ج. 1، ط. 2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص. 119 .

[8]) ابن عذاري المراكشي، ج. 2، ص. 120 ؛ عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس "التاريخ السياسي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986، ص. ص. 280-281.

[9]) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، 1990، ص. 108.

[10]) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص. ص. 167، 254.

[11]) ابن سعيد الأندلسي، المغرِب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، ج. 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ص. ص. 122-123 ؛ المقري، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، مج. 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988، ص. 368 ؛ القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت. 356هـ/ 967م)، كتاب الأمالي، ج.1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1975، ص. ص. 6-7 ؛ القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. محمد أبو الفضل ابراهيم، ج. 1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1986، ص. 240.

[12]) ابن عذاري المراكشي، ج. 2، ص. ص. 238-239 ؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص. ص. 493-494 ؛ آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر. حسين مؤنس، تق. سليمان العطار، الهيئة المصرية العامة للكتاب والمركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011، ص. 23.

[13]) ابن صاعد الأندلسي: أبي القاسم صاعد بن أحمد (ت. 462هـ/ 1070م)، طبقات الأمم، تح. وتع. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1998، ص. 87 ؛ الحميدي: أبو عبد الله محمد الأندلسي (ت. 488هـ/ 1095م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، ج. 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989، ص. 13 ؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج. 3، ط. 14، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1996، ص. 185.

[14]) محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، إشراف لويس سواريث فرناندات، تق. عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1982، ص. ص. 147-148 ؛ عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص. 469.

[15]) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح. إحسان عباس، ج. 2، ط. 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ص. ص. 179-180.

[16]) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح. إحسان عباس، ق. 1، مج. 1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997، ص. 23 ؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. ليفي بروفانسال، ط. 2، دار الجيل بيروت، 1988، ص. 182.

[17]) ال محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس "دول الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي"، ق. 2، ط. 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1997، ص. 199.

[18]) ابن عذاري المراكشي، ج. 4، ص. 46.

[19]) ابن خاقان: أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي (ت. 529هـ/ 1134م)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تح. وتع. حسين يوسف خريوش، ج. 1، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1989، ص. ص. 44-45 ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح. عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، 2005، ص. 191-192 ؛ محمد الأمين بلغيث، دولة المرابطين بالأندلس "من مدينة السياسة إلى مدينة العلم"، دار الوعي، الجزائر، 2009، ص. ص. 94-95.

[20]) عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ج. 1، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1979، ص. 229-230، 232.

[21]) يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر. محمد عبد الله عنان، تق. سليمان العطار، ج. 2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص. 52-54، 255.

[22]) لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تص. محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1927، ص. ص. 31-32 ؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، س. 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1349هـ/ 1930، ص. ص. 243-244 ؛ لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص. ص. 38-50 ؛ لسان الدين بن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ/ 1898، ص. ص. 115-116 ، بوحسون عبد القادر، الأندلس على عهد بني الأحمر دراسة في التاريخ السياسي والثقافي، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2017، ص. 118.

[23]) حاكمي الحبيب، الروابط العلمية بين بلاد المغرب والأندلس على عهد الموحدين (541-626هـ/ 1146-1228م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2017، ص. 99 ؛ بن حاج ميلود، الرحلة العلمية ودورها في حركة التعليم بالأندلس في عصري الامارة و الخلافة (138–422هـ/ 756–1030 م)، مجلة الخلدونية، مج. 7، ع. 1، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2014، ص. 164 ؛ عمار مختار، الرحلة العلمية الأندلسية إلى حواضر المشرق وأثرها على النهضة العلمية في الأندلس خلال العهد الأموي (138-422هـ/ 755-1030م)، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، مج. 7، ع. 2، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2020، ص. ص. 114-115.

[24]) حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998، ص. ص. 127-128.

[25]) ابن الفرضي، المصدر السابق، ص. ص. 279 .

[26]) علي بن إبراهيم الحمد النملة، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط. 3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، م. ع. السعودية، 2006، ص. 157-158 ؛ عامر النجار، حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993، ص. ص. 14-15 .

[27]) علي بن إبراهيم الحمد النملة، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط. 3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، م. ع. السعودية، 2006، ص. 159.

[28]) روم لاندو، الإسلام والعرب، تر. منير البعلبكي، ط. 2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1977، ص. 177.

[29]) الزركلي، الأعلام، ج. 7، ط. 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص. 149.

[30]) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، مج. 1، ط. 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1973، ص. 187.

[31]) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج. 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص. 556 عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، ط. 3، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص. 38 ؛ غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر. عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص. ص. 497 498.

[32]) ابن الفرضي، المصدر السابق ص. 509 ؛ الخشني: أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد القروي (ت. 361هـ/ 971م)، قضاة الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989، ص. 222 ؛ الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، تح. ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، إسبانيا، 1991، ص. 20.

[33]) رشيد يماني، خزائن الكتب لدى بيوتات العلم الأندلسية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / 13-15م "نماذج وخصائص"، مجلة رفوف، مج. 8، ع. 2، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2020، ص. 129.

[34]) الثبيتي عياد، الدرس النحوي في الأندلس في القرن الخامس هجري، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، ق. 4، اللغة والأدب، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، م. ع. السعودية، 1996، ص. 631 ؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. 2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984، ص. 256.

[35]) الزبيدي، طبقات...، ص. ص. 271-272 ؛ القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. محمد أبو الفضل ابراهيم، ج. 3، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1986، ص. 216.

[36]) الزبيدي، المصدر السابق، ص. 310.

[37]) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، ج. 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989، ص. 518 ؛ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ج. 2، ط. 2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979، ص. 241.

[38]) ابن الأبار، المصدر السابق، ص. 56 ؛ ابن الزبير، صلة الصلة، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، ق. 5، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1995، ص. 330.

[39]) ابن عصفور: أبو الحسن محمد بن مؤمن بن محمد بن علي الإشبيلي (ت. 669هـ/ 1270م)، المقَرّب ومعه مُثُل المقَرّب، تح. عادل أحمد عبد لموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص. ص. 29-30 ؛ ابن عبد النور: أبو جعفر أحمد بن راشد المالقي (ت. 702هـ/ 1302م)، رصف المباني في ذكر حروف المعاني، تح. أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، 1974، ص. ص. ل- م.

[40]) هبة محمد حافظ ناصف، المرجع السابق، ص. ص. 124-125 ؛ يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992، ص. 32 ؛ حامد الشافعي دياب، المرجع السابق، ص. 31.

[41]) الزبيدي، المصدر السابق، ص. 308 ؛ الزبيدي، التهذيب بمحكم الترتيب لابن شهيد الأندلسي والجمع بين كتابي لحن العامة، تح. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، م. ع. السعودية، 1999، ص. ص. 13-14 ؛ عبد القادر حاج علي، منهج تيسير تعلمية النحو العربي لدى أبي بكر الزبيدي الإشبيلي "كتاب الواضح أنموذجا"، مجلة الموروث، مج. 8، ع. 1، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2000، ص. ص. 32-34 ؛ نعمة رحيم العزاوي، أبو بكر الزبيدي وآثاره في النحو واللغة، مطبعة الآداب، النجف، العراق، 1975، ص. ص. 74، 80 ؛ يوسف عيد، المرجع السابق، ص. ص. 40-41.

[42]) ابن بشكوال، الصلة، تح. إبراهيم الأبياري، ج. 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989، ص. 523.

[43]) ابن بشكوال، الصلة، تح. إبراهيم الأبياري، ج. 3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989، ص. ص. 200-201 ؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح. إحسان عباس، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993، ص. 769 ؛ السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شر. تع. محمد أحمد جاد المولى بك وأخرون، ج. 1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1986، ص. 88 ؛ اللبلي: أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري (ت. 691هـ/ 1292م)، بغية الآمال

في معرفة مستقبلات الأفعال، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص. 38 ؛ ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1967، ص. ص. 303، 307 ؛ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح. عبد الحميد هنداوي، ج. 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، ص. ص. 4، 17–18.

[44]) التميمي: أبي الطاهر محمد طاهر بن يوسف بن عبد الله السرقسطي(ت. 538هـ/ 1143م)، المسلسل في غريب لغة العرب، تق. تع. محمد عبد الجواد وإبراهيم الدسوقي البساطي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، 1957، ص. 30 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح. عمر عبد السلام التدمري، ج. 37 حوادث ووفيات 541–550هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1995، ص. 79 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، تح. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج. 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000، ص. 80 ؛ ابن قاضي الشهبي: أبو بكر تقي الدين بن محمد الدمشقي (ت. 851هـ/ 1447م)، تراجم طبقات النحاة واللغويين والمفسرين والفقهاء، تح. محسن غياض، الدر العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2007، ص. 31 ؛ ابن الأبار، التكملة...، ج. 2، ص. 26.